المحاضرة الثالثة:

القصة العربية والحداثة: القصة القصيرة، القصة القصيرة جدا، القصة الومضة

أولا : القصة القصيرة:

ظهرت القصة القصيرة في مطلع القرن الماضي في بلادنا العربية وقد بدأت قبل ذلك في أوروبا وايطاليا بأشكال مختلفة وتعدّ من أحدث الفنون الإبداعية حيث انها ظهرت من حوالي قرن ونصف القرن على مستوى العالم كله.

الفرق بين القصة القصيرة والرواية:

الرواية هي سرد لأحداث كثيرة مرتبطة بأشخاص كثيرة يربط بينهم الحدث وينمو للوصول إلى العقدة ومن ثم ينتهي بالحل..
الرواية يمكن اللجوء فيها للحوار البسيط بين شخوصها ويجب الاعتماد فيها على بطل تدور حوله الأحداث ويجب الارتكاز فيها على الشخوص ثلاثية الأبعاد كما في الواقع أي كل ما يتعلق بالأشخاص من مخاوف وأمال وأحلام وعلاقات الخ....
مهم في الرواية الزمان والمكان حيث الزمن الذي حدثت فيه الأحداث والمكان الذي تتم فيه تلك الأحداث وان يصفه الكاتب وصفا دقيقا حتى يتمكن القارئ من معايشة الرواية...

أما القصة فهي تكون مثل الرواية ولكن عدد صفحاتها أقل ويكون بطلها واحد أو اثنين والفترة الزمنية للقصة محدودة بعكس الرواية التي تعتمد فترة زمنية طويلة كما أن القصة تتحدث عن جانب واحد من حياة البطل أو الأبطال وتحاول إظهاره بعكس الرواية التي تمتد لتشمل جوانب متعددة وأزمنة مختلفة ربما تمتد لأجيال...
أما القصة القصيرة : فهي تعتمد بالأكثر على حدث معين وشخصيات قليلة قد يكون البطل فقط أو شخوص قليلة معه ربما تجمع القصة القصيرة والرواية رؤية واحدة ولكن يختلف تناولها بين الرواية والقصة القصيرة لأن القصة القصيرة هي عبارة عن نقطة ضوء على حدث معين وبالنسبة للطول فإن أقصى طول مسموح به للقصة القصيرة هي 30 صفحة وما زاد عن ذلك يطلق عليه قصة على أن كلما قل عدد صفحات القصة القصيرة زاد تكثيفها لإبراز المعنى وقد ظهر في الفترة الأخيرة قصص قصيرة لا تزيد عن بضعة أسطر ولكن لابد من التكثيف لإبراز الحدث والتركيز عليه.

الرواية كما أسلفنا تهتم بعدّة شخصيات وتهتم بأشكالهم الجسمانية وأوصافهم الخارجية بالعلاوة على حالتهم النفسية والمزاجية ولكن القصة القصيرة يمكن أن تشير فقط للشكل الخارجي مجرد إشارة ولكنها تعنى أولا وأخيرا بالحالة النفسية ومعطياتها الخارجية وغيرها من الفروقات التي قد تتيح للرواية التعمق فيها لأنها متشعبة وترتكز على أكثر من نقطة أما القصة القصيرة فهي مركزة ولا تركز إلا على حدث واحد للتعبير عن رؤية الكاتب.

خصائص القصة القصيرة:

1. الوحدة: تعتبر أهم خصائص القصة القصيرة على الإطلاق وقد ألح عليها ادجار الان بو ، والتزمها تشيكوف وموباسان ، وهي مبدأ أساسي من مبادئ الصياغة الفنية في القصة القصيرة ، مبدأ الوحدة يعني أيضاً الواحدية ، أي أن كل شئ فيها يكاد يكون واحداً ..
الفكرة الواحدة / الحدث الواحد / شخصية واحدة / هدف واحد / نهاية منطقية واحدة...
2. التكثيف: التكثيف الشديد مطلوب لتحقيق أعلى قدر من النجاح للقصةالقصيرة ، فالقصة القصيرة رصاصة كما يقول "يوسف ادريس" ولا ننسى أن قصته " نظرة " وهبت لصاحبها ما لم تهبه بعض الروايات لأصحابها.
3. الدراما: هي خلق إحساس حيوي حتى لو لم يكن هناك صراع خارجي ولم يكن هناك إلا شخصية واحدة فقط ولكن يجب أن يكون هناك عنصر تشويق للقارئ لمعرفة نهاية القصة، إذن كل قصة قصيرة يجب أن تتكون من عدة عناصر وهي باختصار:
الرؤية ،الموضوع ، الشخصية ؛ البناء ،الأسلوب.

ثانيا: القصة القصيرة جدا

هي نوع حديث من الفن القصصي تعتمد على التكثيف الشديد في المعنى الدلالي للألفاظ فتكون الألفاظ موحية وتثير التأويلات فتتجاوز المعنى الأحادي للمفردة المستخدمة، كما أنها تعتمد على تكنيك المفارقة بمعنى أن يتحدث الكاتب عن شيء ثم يصل لنهاية غير متوقعة للقارئ، وكلما كانت القصة القصيرة مكثفة بشكل أكبر وقلت عدد كلماتها كلما كانت ذات دلالة اكبر وتكنيك قوي بشرط أن تلتزم بأساسيات البناء التي تتكون من حدث وبطل سواء كان المتحدث بلسانه الكاتب أو الذي يدور حوله الحدث وكل ماخرج عن هذا

الإطار ولم يلتزم بحدث مكثف وتكنيك ونهاية فلا يدرج تحت بند القصة القصيرة جدا ولكن يكون بمثابة خاطرة ومضية لخلوه من أساسيات البناء.

القصة القصيرة جدا: نوع كتابي حديث من الأدب القصصي الومضي البرقي المكثف المفارق الصادم الجريء، وقد انتشر في الفترة الآنية المعاصرة بشكل واسع وأصبح نوعاً سردياً قائماً بحد ذاته، وهو ينتمي إلى ما يسمى بأدب الصدمة، والأدب البرقي أو الومضي. وهو أثر من آثار الانفعال بالثورة الكبيرة الراهنة في تكنولوجيا التواصل الاجتماعي. إنها – كما يقول إريك برغر- قصة تصل إلى هدفها دون إهدار للكلمات. ويعرفها حسين المناصرة بأنها قصة قصيرة مختصرة تصل إلى نهاية مدهشة في الغالب. وأنها بنية سردية بالضرورة أولا غير قابلة للتأطير الجمالي يتشكل وجودها من خلال نصوصها.

وهي كتابة تلغرافية، تعتمد التضمين القصصي حيث تحتوي كل قصة قصيرة جدا على قصة داخلها مهمتها أن توضحها وشرحها وتفسرها وتبين أحداثها...

القصة القصيرة جدا [ق.ق.ج] في بدايتها كانت تابعة للقصة القصيرة باعتبارها فرعا منها، لكنها الآن تنزع نحو أن فنا أدبيا مستقلا له مبدعوه ومنظروه وجمهوره. وقد نالت هجوما وعداء من نقاد ومفكرين يخشون كل جديد ويرونه خطأ وخطرا وردة وتمردا؛ لأن-كما يقول الناقد وليد أبو بكر- كل نص جديد، كما يقول يوجين أونيسكو، هو عدائي. «العدائية تمتزج بالأصالة، وهي تقلق ما اعتاد عليه الناس من أفكار»، وذلك بسبب سطحية كثير من نصوصها ودخول الأدعياء في الإبداع على نسقها ونظامها.

وفي الوجه الآخر نجد من يناصر القصة القصيرة جدا كالدكتور حسين المناصرة، الذي يرى أنها «الكتابة العليا إلى حد ما في المجال السردي، ... وأن كتابتها قد تبدو أصعب من الرواية التي تتسع لعالم شاسع من اللغات والأصوات والأحداث، وأصعب من القصة القصيرة التي قد تقبل التطويل والاستطراد والحوارات. أما القصة القصيرة جداً فهي خلاصة لتجربة سردية لا بد وأن يسبقها باع طويل في كتابة كل من الرواية والقصة القصيرة أو إحداهما على الأقل، بحيث تغدو هذه الكتابة ذات آلية جمالية، مركزها المغامرة والتجريب وفق رؤى إبداعية متمكنة وأصيلة في فن السرد، لا رؤى مبتدئة ومستسهلة لهذه الكتابة الإبداعية أو غيرها»،

إن (القصة القصيرة جدا) محتاجة إلى قراءات و ومقاربات ومفاتشات! وما زالت مفتقرة إلى النصوص الأدبية الفذة المحلقة القادرة على الحضور والتأثير والجاذبية! وتحدد(القصة القصيرة جدا) من حيث الحجم والكم بأنها أصغر من القصة القصيرة، فلا تتجاوز بضعة أسطر وأحياناً لا تكون أكثر من سطر واحد.

عناصرها الرئيسة:

تتجلى أركان القصة القصيرة جداً الأساسية وعناصرها الفارقة بينها وبين غيرها من الفنون في نظر بعض الباحثين في اثني عشر ركنا، هي:

١) القصصية: أي لابد أن تحتوي على قصة. فالنص القصير الخالي من قصة لا يسمى قصة قصيرة جدا.

٢) الجرأة: حيث يتناول مبدعها الموضوعات التي يخشى الآخرون تناولها، ويخوض فيما لا يقدر عليه غيره.

٣) الوحدة: حيث وحدة الحدث، والزمان والمكان...

٤) التكثيف: حيث الاختزال والاختصار في عناصر القصة القصيرة جدا، فهي مثال بارز لما يسمى إيجاز القصر بمعناه النصي لا الجملي أو العباراتي؛ ففيها إجاعة اللفظ وإشباع المعنى. وكل حرف وكل لفظ في النص موظف ومستثمر! وأسلوب الحذف الإبداعي أو الإضمار القصصي بنية مهمة في هذا الفن الحداثي الرقمي!

٥) المفارقة : حيث يعمد الكاتب إلى خرق المتوقع، والجمع بين المتناقضات، ليحدث إثارة وجاذبية.

٦) فعلية الجملة: حيث تتكون جمل النص من أفعال تعلن عن حركة وحيوية.

٧) السخرية، والادهاش: فكاتب القصة القصيرة جدا ساخر وناقد ومدهش ومثير، يقف على واقع مترد سلبي، يصف مشهدا ويحلله وينقده.

٨) اللجوء إلى الأنسنة: حيث تكون الحيوانات أو الجمادات أو الأفكار شخوصا فاعلة احيانا يسند إليها ما هو خاص بالبشر!

٩) استخدام الرمز والايماء والتلميح والإيهام: فالقصة القصيرة جدا رامزة مشيرة موجية ملمحة موهمة ليس فيها تصريح أو تنصيص أو تخصيص!

١٠) الاعتماد على الخاتمة المتوهجة الواخزة المحيرة: وهذا التوهج يجعل النص ساحرا، وهذا الوخز يؤدي الوظيفة النقدية والمهمة الإرهابية للقصة القصيرة جدا. أما التحير فيؤثر في الجمهور القارئ إياها.

١١) طرافة اللقطة: فالكتاب لا يصف العادي من المشاهد، بل يركز على كل طريف غريب مثير!

١٢) اختيار العنوان الذي يحفظ للخاتمة صدمتها: فينبغي للعنوان أن يدفعنا دفعا إلى متابعة القراء في النص!

إنّ أركان (القصصية/ الجرأة/ الوحدة/ التكثيف/ المفارقة) موجودة فيما سبقها من فنون، لا سيما أمها وأصلها وجنسها الرئيس (القصة القصيرة)، وكذا في الفن الحداثي المسمى (القصة الشاعرة). أما بقية الأركان من(فعلية الجملة السخرية والإدهاش، واللجوء إلى الأنسنة، واستخدام الرمز والإيماء والتلميح والإيهام، والاعتماد على الخاتمة المتوهجة الواخزة المحيرة، وطرافة اللقطة، واختيار العنوان الذي يحفظ للخاتمة صدمتها) فهي عناصر بارزة ومميزة ويمكن أن نعد معظمها فارقة، كما ينبغي أن نضيف في الخصائص أنها فن كتابي، وأنها فن خاطف برقي محدد في فقرة أو جملة أو سطر، ولا تبلغ صفحة، وإلا صارت قصة قصيرة فقط! والقصة القصيرة جدا خصائص لغوية بينة.

ثالثا: القصة الومضة

وهي أحدث أنواع القصيرة جدا ولكنها ذات كثافة عالية وتختصر في عدة كلمات حددها البعض ب25 كلمة وآخرين حددوها ب8 كلمات ، فالقصة القصيرة جدا يمكن أن تكون سطرين أو ثلاثة على الأكثر أما الومضة فتكون سطر لا يزيد عن 30 كلمة وكلما كان الإيجاز والتكثيف أعلى كلما كانت ذات رونق خاص، تشترك القصة القصيرة مع القصيرة جدا في وجود بطل وحدث ونهاية ويختلفان في كون أن القصيرة جدا مكثفة ونهايتها تكون غير متوقعة..

القصة الومضة أحدث وافد على مائدة القصة القصيرة بل هي الأقصر حجما و الأشد أثرا والأكثر التصاقا بالواقع و مناسبة للموجة الجديدة من إبداع الأنترنت بصورة رصينة و بقواعد تنفى الطيب عن غيره.

الومضة في الأدب:

هى المستنسخ الثانى من القصة القصيرة بعد القصة القصيرة جدا (ق. ق. ج) اختصارا ولهذا نجد من النقاد من يطلق على القصة القصيرة جدا القصة الومضة أو الطلقة وإذا اعتبرنا أن القصة بأنواعها جنس أو تصنيف جامع و شامل فإن القصة الومضة هى كائن له سماته المميزة عن غيره من نفس التصنيف مثل الخشب يُصنع منه المقاعد كنوع مميز و المناضد شكل مختلف ألخ. و من ثم نرى أن القصة الومضة لها خصائصها المتميزة التي لا يشاركها فيها غيرها رغم التقائها مع القصة القصيرة جدا فى التكثيف والمفارقة والاقتصاد في استخدام الألفاظ و الاعتماد على الكلمة الموحية لكن الومضة تختلف عنها عند المقارنة بينهما من حيث:

–عدد كلمات القصة الومضة لا تزيد عن ثمانية، عدد كلمات القصة القصير ة جدا بين الخمسين والسبعين كحد أقصى.

–الجمل : تتكون القصة الومضة من جملتين فعليتين بينهما علامة فاصلة منقوطة، القصة القصيرة جدا تستخدم الجمل الفعلية أو الاسمية.

–عدد سطور الومضة بين سطر أو اثنين إذا كتبنا كل جملة فى سطر كوسيلة لتنسيق النص ، ق ق ج عدد الأسطر سبعة أو تسعة.

نرى أن الشكل يُبرز استقلال الومضة عن ق ق ج ولو أنكر النذر اليسير من النقاد ذلك.

تُعرَفُ قصة الومضة ((flash fiction بأسماء أُخرى منها القصة بالغة الصغر ((micro fictionوالأقصوصة والقصة القصيرة جداً (short short story) والقصة متناهية القصر ((very short story والقصة الفجائية (sudden story) والقصة البريدية (postcard fiction)والقصة متناهية الصغر(nano fiction) ، مما يجعل من الصعوبة بمكان بلورة تعريف دقيق لقصة الومضة استناداً إلى عدد الكلمات.

سمات قصة الومضة:

1. الإيجاز الشديد : تسعى قصة الومضة إلى تكثيف القصة لأقل عدد ممكن من الكلمات بصرف النظر عن العدد الدقيق، بمعنى أن قصة الومضة تسعى إلى سرد حكاية كبيرة وغنية ومعقدة بسرعة وتركيز.

2. البداية والوسط والنهاية: على خلاف كل من المقطع الأدبي الوصفي القصير vignette والفكرة الناشئة عن التفكير والتأمل reflection فإن غالبية قصص الومضة تؤكد على الحبكة. ورغم وجود استثناءات لهذه القاعدة يمثل سرد قصة كاملة جانباً من الإثارة المترتبة عن كتابة هذا الشكل المكثف.

3. التطور غير المتوقع أو المفاجأة في النهاية : تعتبر عملية بناء تطلعات معينة ومن ثم قلبها رأساً على عقب في حيز محدود للغاية إحدى السمات المميزة لقصة الومضة الناجحة.

د. أمينة أونيس